الإمام المصنّف:

نبغ ابن المطهّر، وبرزت فيه سيماء الزعامة والإمامة الدينيّة منذ صباه، وتقدّم في ريعان شبابه على العلماء الكبار، والفقهاء والنحول.

وأمّا في التصنيف: فكان أُعجوبةً في القدرة على التأليف واستحظار المحفوظ من العلوم، أُعجوبةً في كثرة التأليف. وصفه مترجموه فقالوا: كان في أسفاره يؤلّف وهو راكب.

وألّف كتباً عديدةً في الكلام والحكمة والطبيعيّات وفرغ من تصنيفه في هذه الميادين قبل السادسة والعشرين من عمره. وفاقت كتبه تلك مباحث الحكماء السابقين، وأورد عليهم، وحاكَم بين شرّاح الإشارات لابن سينا، وباحث ابن سينا في كتبه وخطّأه، وناقش نصير الدين الطوسي وشرح كتبه شرحاً لا نظير له، حتّى

قيل: لولا ابن المطهّر لم يفهم أحد كلام نصير الدين. غير أنّه لم يكن متابعاً له في كلّ شيء، بل كان حرّاً في تفكيره، مجتهداً لا مقلّداً، فردّ على أُستاذه نصير الدين أشياء كثيرة، وكتب في معارضته وبيان أخطائه كتاباً أسماه (المباحث السنيّة في المعارضات النصيريّة).

ثمّ أخذ في تحرير الفقه والأُصول، ففاق في تصنيفه فحول عصره، وبرع في الاجتهاد في أبواب لم يُسبق إليها.

وبعد أقلّ من سنتين، وهو في السابعة والعشرين من عمره، توفّي رئيس المذهب، خالُه المحقّق الحلّي، فصارت رئاسة المذهب إليه، في المعقول والمنقول.

واشتغل في التصنيف في علوم الشريعة:

في الفقه: صنّف ما لم يُسبق إلىٰ مثله، ومن ذلك:

١ــ المُختَلَف: في أقوال علماء الشيعة، واختلافاتهم، وحججهم كما يذكر فيه مختاره ودليله.

٢ــ التذكرة: في أقوال علماء غير الشيعة، واختلافاتهم، وحججهم.

٣ــ منتهى المطلب: ذكر فيه جميع مذاهب المسلمين واحتجاجاتهم، وبيّن الصحيح من غيره.

٤ــ التحرير: جمع ٤٠ ألف مسألة.

٥ــ القواعد: وكان شُغل العلماء شرحاً وتدريساً منذ عصره إلىٰ اليوم.

وكتب غير هذا كثيراً من الكتب المختصرة وشُرحت بعده شروحاً عديدة، وبلغ المذكور من كتبه في الفقه عشرين كتاباً.

وفي الأُصول: مهر مهارةً لم تُعرف عند غيره، وصنّف فيه مصنّفاتٍ غاية في الدقّة والإحكام، منها:

١ـ النهاية: في مجلّدين كبيرين.

٢ـ التهذيب: وكان عليه مدار التدريس في الأُصول.

٣ـ شرح مختصر ابن الحاجب: أُعجِب فيه جميع أئمّة العلم، فقال فيه ابن حجر العسقلاني: إنّه في غاية الحسن في حلّ ألفاظه وتقريب معانيه.

مع خمسة كتب أُخرى في الأُصول.

وفي التفسير: له كتابان، هما:

١ـ نهج الإيمان في تفسير القرآن.

٢ـ القول الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. وسمّي أيضاً (السرّ الوجيز).

وفي الحديث: كان إماماً بلا منازع، وصنّف فيه تصانيف لم يُسبق إليها ولا نظير لها، وبلغت خمسة كتب، هي:

١ـ استقصاء الاعتبار في تحرير معاني الأخبار: قال عنه في كتابه (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال): ذكرنا فيه كلّ حديث وصل إلينا، وبحثنا في كلّ حديث على صحّة السند أو إبطاله، وكون متنه محكماً أو متشابهاً، وما اشتمل عليه من المباحث الأُصوليّة والأدبيّة. وما يستنبط منه من الأحكام الشرعيّة وغيرها.

٢ـ مصابيح الأنوار: قسّم فيه الأحاديث على الأبواب.

٣ـ الدرّ والمرجان في الأحاديث الصحاح والحسان.

٤ـ النهج الوضّاح في الأحاديث الصحاح.

٥ـ جامع الأخبار، أو: مجامع الأخبار.

ولهذه الكتب الخمسة أعداءٌ ـ سيأتي ذكرهم ـ كانوا على الأظهر وراء اختفاء معظمها وضياعه، ولعلّ الموجود منها الآن هو الأوّل فقط.

وفي علم الرجال: له أربعة كتب، ومثلها في علم النحو، وفي المعقول والحكمة: أربعة وعشرون كتاباً، وفي الكلام والاحتجاج: ثمانية وعشرون كتاباً، وكتب عديدة أُخرى متنوّعة لم يضبط عددها. علماً أنّ قسماً كبيراً منها مفقود ولم يوجد له